

## فلسطين: منطبق الأرض

تقول جذتي أن القصة بيننا وبين «اليهود» شديدة البساطة: إنهم سرقوا مناّ الأرض. واللحظة التي تُصغي فيها تجد إلى سهولة هذه الكلمات المُتعمّة، هي اللحظة التي نكتشفُ فيها أن كلّ مركبات قضية فلسطين – دون أي استثناء – يمكن اختزالها بمسألة السيطرة على الأرض. هذه الفكرة التي تبدو بديهيةً أحياناً، تتخذُ وزناً ثقيلًا وحرجاً في ظروف الوطن العربيّ الفداحة، لأنّ فيها ما يعيد فلسطين إلى مركبها الأساس، فيجردها من أحمال الدلالات الرمزية التي اعتمدتها الخطابات الإيديولوجية: الدلالات الدينية التي حولت فلسطين موضوعاً للإسلام السياسي، والدلالات القومية التي حولت فلسطين موضوعاً للكتاتوريّات، والدلالات النيوليبرالية التي حولت فلسطين موضوعاً لطغمة أوُسلو. وتتقدّم هذه التيارات الثلاثة بقوة تحالفها وانشقاقها الدائم في ما بينها عبر الزمن، فكلّ منها قادر على تأويل خطابها وحل تناقضاته بواسطة الصياغات اللغوية مع كل انشقاق أو تحالف جديدين، وبواسطة التأييد الجماهيري الذي تنتجه حلول يقدمها كل تيار لاجتمعه المزموم. وليست هذه حال السياسة في فلسطين فقط، إنما يمكننا أن نشير بوضوح إلى مصادرها في الحياة السياسية في الوطن العربي الذي احتدّت فيه التناقضات الداخلية في الخطابات السياسية حتى باتت الوسيلة الوحيدة لتبريرها وجسر هواتها هي اللغة الطائفية والعصبية والدوانية.

هناك حاجة ماسة لقراءة ماديةٍ لماضي وحاضر ومستقبل فلسطين، من أجل تحرير النضال من قيود الغيبة الدينية وبطوريكية الفضائل المغلقة والعملية لإسرائيل تحت سميّ «التنسيق الأمّني»، وانطلاقاً من هذا المفهوم، تتخذ الأرض، وهي الشرط المادي الأول في فلسطين، أهمية ماسة وحرجة.

#### الجذور الضاربة في الأرض

ما يغيب من الخطاب الإسلاميّ في الدفاع عن المسجد الأقصى مثلاً، هو حقيقة أن حرم المسجد وباحاته كانت ولا تزال محرك الوجود الفلسطيني في مدينة القدس. فالقضية التي تبدو مصارعة غيبية على من يصلّي أين ومتى، هي بالحقيقة معركة على حُس مساحة البلدة القديمة في القدس، التي تشكل المركز الرابط بين أحياء القدس المختلفة وتشكل ما يجعلها مدينة فلسطينية واحدة بدل أن تكون مجموعة من القرى المتفرقة، بل هي الخاصرة الناعمة التي تفضل شمال الضفة الغربية عن جنوبها، وظهرياً، تعين خطورة الجدار بكونه جداراً للفصل العنصري بين الإسرائيليين والفلسطينيين. رغم أن مشكلته الحقيقية هي أنه يصادر 10 في المئة من مساحة الضفة الغربية ويمنع 80 في المئة من سكان شمال الضفة من الوصول إلى أراضيهم الزراعية، بينما تشكل الزراعة أكثر من 15 في المئة من القوة العاملة الرسمية و40 في المئة من القوة العاملة غير الرسمية، أما مشكلة الدولة الفلسطينية (هذا الحل السُمّي «واقعيًا») فليست في «تجميد العملية السلمية» إنما في أن الدولة محبوسة عن 85 في المئة من مساحات الطبيعة المثقوبة فيضاً، ولا يستطيع زبدها الوصول إلى أكثر من ثلثي مناطقها، وأما داخل الأرض المحتلة عام 1948، فأهل النقب محصورون بأقل من 3 في المئة من مساحتها بينما ملايين الدونيات من أرضهم مصادرة، وهم انطلقاً من هذه المساحة الخائفة يقاتلون ضد مخططات حصرهم مرة

## 15 | 1

كيف أن الموت والاحتكار متلازمان في الحروب، وكيف يولد اقتصاد موازن.. هنا برضا السلطات: مثال سوريا. والفصل الثاني من شهادة الشاعر المصري عمر حاذق عن المعتقل: استنتاجات من التجربة.

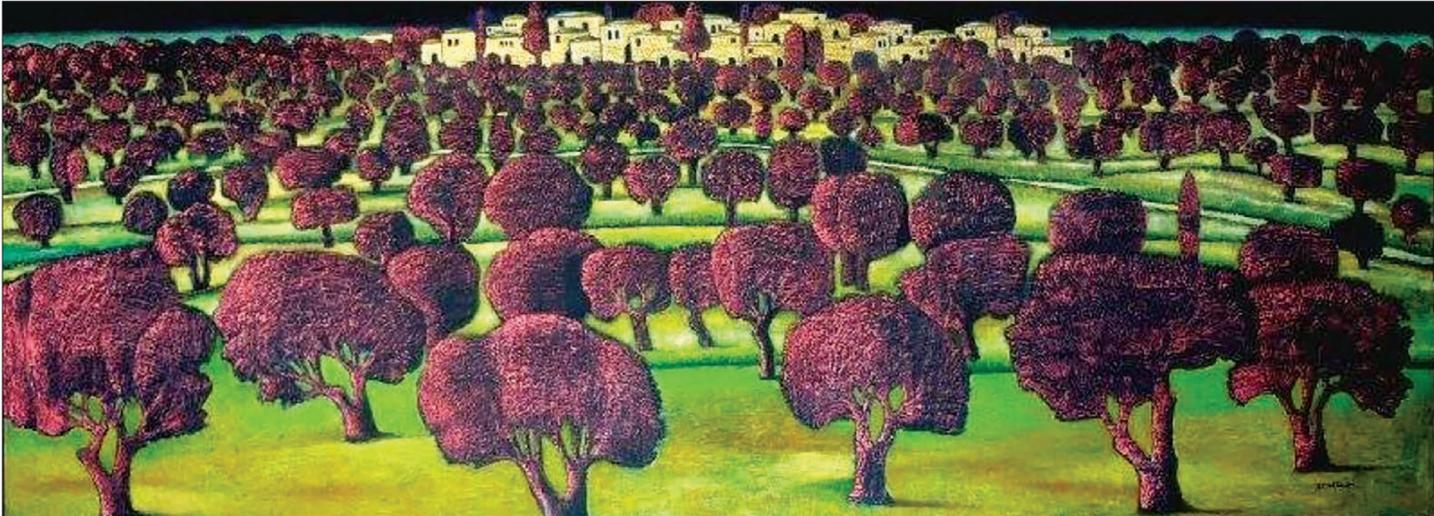
2

هل الحراك الثوري مسؤول عن تردي الأوضاع الحياتية والأمنية في مصر، أم هو نتيجة للتردي، وما معنى «الثورة المضادة»؟ مقابلة مع المؤرخ خالد فهمي، وفي زاوية «بيتونة»: تذكّر جيداً أن تنسى!

3

حكايات من شوارع حلب. «بألف كلمة» و«حلم» عن يوم الأرض في فلسطين، والمدونات من هناك، وعلى الموقع: اتفاقية باريس الاقتصادية وأثرها على الاقتصاد الفلسطيني، وعطب الخيلة في العراق.

4



نبيل عناني – فلسطين

أخرى في 1 في المئة من الأرض فقط، والجليل لم يبقَ من أرضه أي شيء، فأصبحت بلداته المحاصرة بالستوطنات والمناطق العسكرية المنلقة (دون أن يكون فيها أي نشاط عسكري) أشبه بمخيمات لاجئين من حيث الاكتظاظ السكاني المروع، والبناء العشوائي مدموم الضوابط العمرانية، والإندعام التام والهائي للحيّز العام في هذه البلدات. ويضاف إلى هذا كله الاستخدام الإسرائيلي للأوتوسترادات كوسيلة رئيسية لمصادرة الأراضي وعزل البلدات عما تبقى من امتداد أراضٍ لتلا يتم التوسع فيها مستقبلاً، وهو نفسه ما ينتج عنه عمليات هدم يومي لبيوت الناس التي تجرأت على تخوم الغيتوّ.

هذا كله، أي اندعام المساحة الحيوية للتبادل بين البلدات الفلسطينية، عززَ ظواهر العصبية المحلية بين البلدات والمناطق (وقد باتت متقدمة وملحوظة بقوة)، والعصبية الحمائيلة التي تتغذى من المنافسة بين العائلات على مساحات وإمكاناتِ البناء والعيش داخل البلدات، والحكم العشائري في النقب الذي بقي، وحده، يحفظ الحق التاريخي والمعنوي على مساحات الأراضي المصادرة، ومن هذه القوة يمارس هيمنته ويعيد إنتاج المصائب الاجتماعية. ويمكن ملاحظة كل ما ينتجه ذلك من عنف مجتمعي تراجمدي، ووفق نتائج عن قتل الزراعة في مجتمعٍ فلاّحين، ومنع تطوير الصناعة بسبب ضيق الأرض وأولوية الحاجة للسكن قبل الصناعة، علاوة على منع إسرائيل تطوير المناطق الصناعية حتى في الحالات النادرة التي تكون فيها المساحات موجودة.

#### الجغرافيا كشرط للأخلاق

أحد الأسئلة المطروحة في فلسطين هي التالية: لماذا لا يتنفض المجتمع إلا عندما يكون للأمر علاقة بمصادرة الأراضي؟ لماذا تبقى الاحتجاجات ضدّ قوانين وسياسات

محيطه – والاعتراق ليس موضوعه ألاّ تقول لجارك صباح الخير، إنما هو تعارف الإنسانِ و «التحديق بوجوه الآخرين» (كما رأى إيمانويل ليفيناس)، الذي ينتج الحس الأخلاقيّ الأوّل، والتوجه بالكلام الذي يُنتج المسؤوليّة الأخلاقية الأولى اتجاه الآخر (وهنا تُقرأ أيضاً حثة أرنت وإريك فروم في سياق الاعتراق والفاشية).

إن التفكير بما يحدث في المجتمعات (والإنسان) من خلال مراجعة ظروفها المادية هو ما يؤسس للفهم المتسامح تجاه الآخر، نحو قبوله – أيّ التضمّن. فهو يقلّص إلى حد بعيد الفرضيات العنصرية حول ظروف الإنسان الأولية، ويتعرّف الإنسان على سبببات هذا الآخر الذي يتحول في مجتمعاتنا إلى عدو أوتوماتيكيّ. والتفكير بالظروف المادية للآخر هو التفكير بالمشترك، بيد أن التفكير بالمعنوي لا يمتلك أرضية مشتركة. والمنطق الماديّ يقود للتفكير النسويّ المضاد للذكورية الهدامة، إذ أنه يفكر بمنطق الحاجة وسدّها لا بمنطق التعدي والنزوّ المستفحل، النسويّ المضاد للذكورية الهدامة، إذ أنه يفكر بمنطق الحاجة وسدّها لا بمنطق التعدي والنزوّ المستفحل، المنطق المضاد للذكورية الهدامة، إذ أنه يفكر بمنطق الحاجة وسدّها لا بمنطق التعدي والنزوّ المستفحل، وهو تفكير يعتمد المعنى العلمي (والكمّيّ) وهذا هام) بدلاً من التفكير التجويّس بين لفة الآخر وقصده، وبين ظاهره وقلبه.. وربما تكون هذه طريقة جيدة لنقتنع بأن ليس كل من هو غريبنا متأمّر لذبحنا.

#### العودة لمنطق الأرض

والتفكير بفلسطين يخضع للمنطق ذاته، فما يحدث داخل المجتمع الفلسطيني لا يقل خطوره عما يحدث في الوطن العربي من حيث العصبيات والعنف المستشري، من حيث مصادرة الحريات والغاء الآخرين، وقمع السينما والمسرح والغناء والأدب من قبل الإسلام السياسي والأنظمة البوليسية. هو امتداد لسلطات فاسدة ومتعاونة مع إسرائيل بسبب توازن اقتصاديّ (وهي

## مونولوج حزبي ليس للنشر

وتوقيتنا الشديدة كانت للتغطية على الفراغ. عندما يقرع اليقين اليقين يتحقق الانحطاط. من يفكر دون جغرافيا منقطع عن الواقع. قرأنا ماركس مبرياً عن مجتمع أوروبي لذا لم نصل قط لتحليل ملموس للواقع الملموس. كنا نخجل من ضط الإنتاج الآسيوي.

يستعيد المناضل الحزبي المتعب محطات بعيدة: يعترف أنه لم يعد يجد نفسه في القفيدة القومية (الأرثوذكسية) للحزب. يتذكر تورطه في التسطيط: كنت استشهد بغرامشي بحماس، وكان الحزب أقرب للقبيلة والزاوية.

ما معنى التسطيط؟ الدفاع عن مواقف غير سليمة بصوت مرتفع وتقديم حجج تبسيطية.

طيب، قل لنا:

كم أنتم أيها الحزبؤون؟ واحد في المئة من الشعب. أحزابكم كثيرة والشعبواكم كثير وعددكم قليل إذاً. صحيح، لأن غير الشعب غير مسيس فضع من سنخارس السياسة؟ مع البوليس؟

طيب، قل لنا: هل نظام الكوتا (المحصصة) ديموقراطي؟ لا طبعاً. هل سبق لك واستفدت من الكوتا؟

«كلنا استفدنا».

ذكرته بشرطي - لا تستخدم ضمير المتكلم المجمع - بل ضمير المتكلم المفرد. للإشارة، المحصصة مستمرة. وقد صدم الكثيرون من دفاع البرلمان الشاب عن معاشات البرلمانين، وقد وصل البرلمان بالمحصصة، أي بلائحة خاصة بالشباب، منذ سنوات تظهر في الأحزاب حركات تصحيحية شبابية بشكل دوري. وبما أنها تظهر قبيل الانتخابات، فإنها تزيد زيادة نصيبها في المحصصة وليس تغيير قواعد اللعبة. يخشى اليساريون النقد الذاتي، ويخشاه الإسلاميون. توقع كثيرون أن تقوم شبيبة جماعة العدل والإحسان بنقد ذاتي بعد وفاة الشيخ عبد السلام ياسين نهاية 2012. لكن الصمت يهيمن.

يتضح من الحوارات أنه يستحيل أن يقوم السياسي بنقد ذاتي، وإن فعل فيعد تقاعده. حينها يطلق عدد من الزاعم التي تعيده للوضوء. حين يقدم بعض الملاحظات النقدية يكون مطمئناً أن سامعاً لن ينشرها أو على الأقل لن ينسبها له. في بدايته، قرر هذا السياسي النضال لتغيير الواقع، ومع الزمن غيره الواقع. ما أصعب تمرين نقد ذاتي لحزب مدمن على نقد السلطة. ما أحلى النقد التبريري، وهو اتهام الواقع، أما النقد الذاتي فحجيم بلا قاع.

يكره المناضل السابق - والتعريف قاس - من يذكره

### الأرض!

كان ذلك قبل أربعين عاماً بالتام. انتفض فلسطينيو.. كيف سنسميهم؟ أفضل التسميات هي تلك التي تحيل إلى الحدث الأكبر المزلزل: «فلسطينيو 1948» (بينما يسميهم المحلل الإسرائيلي «الأقلية العربية» أو «عرب إسرائيل»، مضيقاً الموضوع. كان ذلك إيذاناً باستحالة تمرير الاحتلال بصمت، هو الذي لم يتوقف عن

التوسع: باتجاه ما تبقى من فلسطين (الضفة والقطاع والقدس)، وباتجاه ما استحوذ عليه بالأصل: هناك كانت تجري مصادرات للأرض بحجج شتى (أماك غائبيين، أو

مصلحة عليا الخ..) ومن دون حجج (بفواينين، وكان شرعيتها مطلقة لجرد سنّها).

سقط شهداء وجرحى ووقع في الاعتقال من وقع. لكن الإعلان كان يستحق كل العناء والتضحيات. ومذّك، لم يتوقف فلسطينيو 1948 على تأكيد موقفهم المقاوم وفق شروط أوضاعهم، وقد تنخضض نبرته أحياناً أو تعلق (كما في الانتفاضة الأخيرة التي اندلعت في الخريف الفائت وحار الإسرائيليون كذلك، وكالعادة، في تسميتها، فقالوا «سكاكين» حتى خرجت المقصات والمفارك..). ولكنه موجود، مسجل.

هكذا هو نضال الشعب الفلسطيني بوجه آلة الإلغاء - بكل معاني الكلمة. وفي الحصيلة، وفي المحطات التي تحت على الاستعادة كما اليوم، نقف أمام فشل إسرائيلي في استيعاب فلسطين ومحوها. وهذا طبعاً ليس بالشيء الهين في ظل اختلال مهول في توازن القوى، يعززه المسلك الرسمي للسلطة الفلسطينية التي تبدو عاجزة وفاشلة حينما لا يشك بتواطؤها.. والحالة العربية التي قد يكون نائب رئيس شرطة دبي يمثلها، بشكل كاريكاتوري بالتأكيد ولكنه فصيح. وهناك اتخاذ إسرائيلي وخططها لمواجهة «الإرهاب» والأدوات التي تلجأ إليها (ومنها حالة الطوارئ الغفلية الدائمة) كبتلاً في زمن هيمنة النيوليبرالية في العالم، فنتسلم في أميركا وأوروبا، بما يجعلها أقرب إلى النموذج منها إلى المختبر (وكمثال). أصبحت موضة الجدران شائعة: كانت 10 جدران في زمن الحرب الباردة وصارت اليوم 50. وزادت أطوالها 9500 كلم في السنوات العشر الماضية). وهناك الأدب الإسرائيلي المؤكد، ومنه ذلك الذي يسعى لتطوير علاقاتها مع روسيا والصين والهند.. على أساس المصلحة، وعلى أساس وجود إنجازات متقدمة في قطاعات عديدة عسكرية ومدنية، مغرية وقابلة للتسويق..

.. وعلى الرغم من ذلك، يستمر الصراع، طالما هناك من يرفض الأمر الواقع.. ما لا يعفي من ضروراتِ على رأسها نقاش الكيفيات والشروط، وتعيين الأفاق.

#### نهلة الشّعال

محمد بنغريز كاتب وسينمائي من المغرب

283

مبنى سكنيا هدمتها اسرائيل في الأراضي الفلسطينية المحتلة خلال شهري كانون الثاني/يناير وشباط/فبراير هذا العام. وهذا أدى إلى تهجير 404 فلسطينيين بينما تأثر 1150 فلسطينيا من هذا الهدم نتيجة خسارة أماكن عملهم.

## متابعات

## الحرب أنجبت معاً الموت والاحتكار



سيمعان خوام - سوريا

تنتكس الحياة برمتها، ولا تنتكس التجارة. يظل السوق وفيّاً لحسبة العرض والطلب، ما دام هناك بشر يجوسون فسحة العيش كل يوم، فلا ينزع السوق عنه أطروحة الريح، وإن استعرت الحرب غلواً، وصارت هي الشأن العام، سياسة السوق هم أنفسهم لا يتغيرون، لا في سوريا ولا في غيرها. يقفون يطاردون العملة، يجرونها من جيوب الناس إلى جيوبهم، ويتقاسمون برزق الحرب، وإن كان قوت الناس نفسه.. ليكون 21 تاجراً على قائمة أثرى مئة شخص في سوريا. تجارتهم هي صنوف عدة من السيارات والمواد الغذائية والنسيج والحديد والخشب والورق والإلكترونيات، يعيبن على الحرب ظلها النقيض، ويتناسون أنهم عمدوا بقوته أرباحهم، فتعاظمت. بعضهم أكل الكتف من حيث توكّل، فسخر لنفسه منافع الدروب الضيقة لتمويل المستوردات بتعرجاتها العلوية، وراح يفتيق في كل مرة يرتفع فيها سعر الصرف، وتنخفض قيمة عملة البلاد. الحرب أنجبت الاحتكار مثلما أنجبت الموت، أنجبتهم معاً.

## السلطة تعترف باحتكار القلّة؟

لم يخبرنا رئيس الحكومة السورية باسمائهم، أطلعتنا على عددهم وحسب، 25 تاجراً فقط هم الذين يستوردون لكل سوريا. السلطة بهذا تجاهر بوجود احتكار قاطع لقلّة من التجار، وتنسحب هي من المشهد المتعب لأعضاء البلاد، وكأنها ليست المسؤولة بوزارة تجارتها عن منح إجازات الاستيراد وعقوده، وكأنها لا تمول بمصرفها المركزي أغلب مستوردات البلاد. تريد أن تترى نفسها من تبعات سياستها النقدية، وقليلاً من تبعات سياستها المالية، وهما اللتان سوّغت نمو الاحتكارات والنهب والربح الطفيلي.

غامت الأسعار الحقيقية للسلع في السوق بعدما جرى على نحو خفيّ ربطها بسعر صرف الدولار داخل السوق السوداء، وهذا وصل مؤخراً إلى 420 ليرة، وبمقدور القائمين على السياسة المالية مدّ رقابهم بحفة، والتصريح بأن هذا السعر وهمي، كيف هذا وقد لحقت به أسعار كل السلع، المستودعات فُتحت على مصاريحها، وتدفقت منها صنوف البضائع إلى السوق منتعشة بالسعر الجديد وكان أصحابها استوردوها بالأتمس، ويريدون بيعها اليوم، ربح طفيلي مؤكّد، وقلّة تحكروا الاستيراد في سوريا أشار إليها رئيس الحكومة ومضى. حتى أننا لم نعرف بعد ما إن كانت وزارة المالية تلاحقمهم على أرباحهم فتقطع منها مالا الضرائب المستحقة الدفع، أم لا؟

## الدور المتراجح للدولة

لعل الوفرة النقدية التي راقت رموز المال السياسي بعد العام 2000 وكانت تبحث عن مطارح توظيف جديدة، بدت حاجتها ملحة إلى حث واقع جديد لا مكان فيه للاقتصاد الشاسي، ولا دور فيه للدولة. هدف الجميع حينها لاقتصاد السوق، متفوقاً بلا وعي، وهم يعلمون أن الاقتصاد القائم لم يطور بعد الأدوات والبنية الموائمة لمرحلة ذلك الانتقال، كان انتقالاً تجميلاً اعطى بحسبين صورة الآن عاجزة عن حماية «مستهلكها»، عجزاً يتخطى وجود الاحتكار المعلن. فهو اقتصاد غاشم لفئة أو فئات محددة، وما تجليات الحرب الراهنة سوى تمكين إضافي

للاحتكار، وشرّعت السلطة العام 2008 قانوناً لحماية المستهلك. الآن لا فائدة مأمولة من تلك التشريعات ولا من تلك الجهات، الاحتكار قائم باعتراف الحكومة، حتى أن وزارة التجارة الداخلية وحماية المستهلك تلك التي اشتقت السلطة من وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية، لتساير بها الآثار الربكية لاقتصاد السوق على الطبقات ذات الدخل التي قوّضها الانتقال الاقتصادي الارتجالي، تبدو الآن عاجزة عن حماية «مستهلكها»، عجزاً يتخطى وجود الاحتكار المعلن. فهو اقتصاد غاشم لفئة أو فئات محددة، وما تجليات الحرب الراهنة سوى تمكين إضافي

وفئوي للعديد من إرائهم، وإفكار باقي الجامع البشرية التكميلية في ذلك الاستطارد القاسي، فلا المؤسسات الاستهلاكية، ولا مؤسسات الخزن والنسويق أبليت بلاءً حسناً خلال السنوات الماضية في تمكين منظومة الدعم الاجتماعي من انتشار الفقراء من حضيض الإفلاس الحقيقي، وتخليصهم من قوى السوق الناشئ من قوانين ذاتية تخص الاحتكار، والنقطة الضيقة وحسب. صارت تلك المؤسسات الحكومية تفكر بعقيلة التاجر الضيقة، صار لها جيب تريد أن تملأه، متلصبةً به عن دورها الاجتماعي. بهذا ظل حجم العرض من السلع محدوداً،

وظلّت الأسعار مرتفعة، الدولة بمؤسسات تدخلها بقيت متفرجة إلى درجة لا تطاق، وكان بمقدورها لو تدخلت بزيادة العرض السلمي أن تفرض أسعاراً متوازنة أكثر بكثير من قيمها الآن.

## هيمنة للمنافسة ومنع الاحتكار

مطلع العام 2012، لم تكن هيمنة المنافسة ومنع الاحتكار متيقنة بعد من وجود حالات للاحتكار داخل السوق السورية، اكتفت بوصف ما كان يحدث وقذاك بـ «الانكماش الاقتصادي والتضخم»، بذلك نفت وجود أحد

علينا ساعات تريضاً وتهيننا...!! كنت أفكر كيف تدافع الحياة عن نفسها كما كتبت من قبل! كيف يواجه فتى ريفي بلا أية فتاعات سياسية، مثل إسلام حسنين، الذي قبض عليه صدفة في محيط مظاهرتنا أثناء خروجه من معبده، والذي ما زلت أذكر انبهاره بعبوات النسكافيه التي رآها معي لأول مرة في حياته، و«بوش» النسكافيه الذي علمته كيف يصنعه.. كيف يواجه هذا الفتى هذه الحياة الرهيبة من دون عزاء ولا فتاعة ثورية، ويظل طليباً محباً للحياة والناس؟

إجابة هذا السؤال لدى دارسي الحضارة المصرية القديمة، لدى وول ديورانت وجمال حمدان، ولدى غيرها

ممن درس تاريخ شعبنا المرتبط بالزراعة، البسيط، المغمم سلاماً وحياً للحياة. الإحساس بالذات، بالإناقة، بالجاذبية، بالوجهة.. انهار تماماً. هذه الأوهام كلها انهارت كاشفة عن قيح، قرف، هشاشة هائلة.. كامة في أجسادنا، طالما اعتدنا كتبنا وتجاهلها. غير أن هذه الإمكانيات تنبثق عن أجسادنا كنانوافير لحظة تجد لنفسها ثغرة صغيرة، لم يكن هذا «عشمي» في جسدي: أن يباغتني بهذا القدر من القرف والأشمزاز. كل ما أسسته من وعي بنظافتي وقدرتي على التائق المنح محقاً، ليضعني في تلك «الخاتنة» البعيدة، خاتنة «الجربانيين» بكل ما تحمله



أحمد السوداني - العراق

## البدلة والكرافات

كنتُ أسهر أكثر الليل، أكتب روايتي على ضوء لمبة صغيرة، فكتبت الأظح كيف يدس الناموس أيديمهم داخل ملايسهم ليهرشوا هرشاً متبائناً بتباين توغل الجرب في أجسادهم، شيئاً فشيئاً، بدأت بقع دم صغيرة تظهر على المايس وتنمخ، بعض الزملاء لم يعد قادراً على الاكتفاء بالهرش في الحمام أو أثناء نومه، فصاروا يهرشون علانية، في حالات قليلة، كان أحدهم يهرش بقطعة خشبية، أو بأية أداة صلبة، أما أنا ففعلت ما سبب انتقال العدوى إلي من حيث أردت مقاومتها! واهبطت أكثر من شهر على ذهن جسدي يبرهم يعالج الجرب كما يقني منه، غافلاً عن تنبيهه في نشرته بعدم اللواطية عليه لأن الجرب يطور مناعة ضده عند تكراره، كان ينبغي المناوبة بين المراهم مع انقطاعات قصيرة بينها. بدأت أحرص رغبة واضحة في العرش هاجمت مفصلي ساقي وركبتي، بغير حيوب ولا يقح حمراء، فأكثر من اجتناب الزملاء، والهوس بالنظافة ودهان المراهم والاستحمام بصابونة الكبريت من دون «ليفة»، لأنني منذ طفولتي أستحم مملداً بشرتي بالصابونة وبكفي، هذا لم يكن سديداً لأن الميكروب يكمن في أعماق مسام البشرة، فنبنيني كحكا بليلة خشنة لتبلغ رغوثة الكبريت أعماق المسام. ذلك كله عرفته من رفيف الحبسة الجميل لوي القهوجي، لكن بعد فوات الأوان. باغتتني الحبوب الحمراء الصغيرة اللعينة، أذكر جيداً لحظة رأيتها على جسدي أول مرة.

أنا «جربان» أذاً. هزمت دفاعاتي كلها، لم أعد أعرف جسدي، لم أشعر بهذا الشعور أبداً من قبل. افضل شيئاً لأجلي يا رب، ساعدني بمعجزة ما.. صحوي بين زملائي الثائمين بمعان أنني أيضاً أنام وهم صاحون.. لا بد أنني خلال النوم، أمرش مثلما يهرش أي مصاب بالجرب خلال نومه، كل ما رأيته منهم يرونه مني الآن.. لا أحد هنا أفضل من أحد، أنا المعروف بين زملائي بهوسي بالنظافة، يصدر عني ذلك، في تلك اللحظة تحديداً تغيرت. انهدمت داخلي أشياء وتأسست أشياء، لو لم تنهدم تلك وتأسس هذه لضعت. كثير من الذين يكتبون عن تجارب السجن يختارون حكايات طريفة، ولا يتوقفون عند تلك اللحظات القصيرة التي تعبر الإنسان مثل زلزال، لا يطول غالباً عن ثوان، يترك بعدها المدينة أنقاضاً.

زارني صديق في صيف 2014، حيث كان يُسمح أحياناً بدخول زائر من غير قرابة الدرجة الأولى، جلس بجواري على مقعد طويل، في ذلك الصيف كان ثمة كلام في بعض المواقع عن انتشار الجرب في السجن، فسالني صديقي، فأقررت بالانشارة بسجن برج العرب، فلاحظت قلقة، ثم سالني عن نفسي فأقررت بإصابتي. هنا لاحظت لهله، مع انتفاضة صغيرة لا إرادية، مبتعداً عني بضعة سنتيمترات حين سلّم علي لم يعانقني كما استقبلني، سامحته، فكرت أنني قبل سجنني كنت سافلت فعله تماماً، فكرت طويلاً في

يقوم باحتكار سلعة أو أكثر، بمعنى أنه يحجب تلك السلعة عن السوق، وينتظر زيادة سعرها لأجل إعادة طرحها للبيع. الهيئة جاءت لتضمن التعددية والمنافسة، قانون إنشائها يرتب عليها أن تتبع نسبة السيطرة على السوق، فتضعها من أن تتجاوز نسبة 30 في المئة، قانون حماية المستهلك هو الآخر يمنح وفق مادته رقم 17 حجب أي سلعة عن السوق بهدف إعادة عرضها للبيع لاحقاً بأسعار عالية.

لكن ذلك لم يثن جمعية حماية المستهلك بدمشق لأن تفر قبل أربع سنوات بوجود احتكارات داخل السوق. تواضعت وقالت حينها إن هناك احتكاراً يمارسه بعض التجار، ليس فقط بحجب عرض بعض السلع، وإنما في تحديد سعرها، في سوريا ثمة 5 تجار فقط يحتكرون استيراد السكر، بينما بالأصل يصل عدد مستوردي هذه السلعة إلى 200 تاجر، من يستورد السكر يعود ويحدد سعره في السوق المحلية، باقي المستوردين يتفجرون على هذه الحيلة ويتحسرون. الحرب أيضاً أيقظت مخيلة الاحتكار، ثمة متنقذ واحد في سوريا فقط يحكروا استيراد المولدات الكهربائية الصينية، ويعود ويسعرها بحلابة، مراكمراً أرباحاً لم تكن تتخطى على باله، انقطاع التيار الكهربائي أنشئ هذا السوق منذ أربع سنوات، فلاحتمار بهذا التصريف لا يهين هيمنة المنافسة ومنع الاحتكار وحسب، بل ويختزل دورها، يجعله مساوياً للصفر تقريباً.

## هدم الاحتكار يتم من داخله

يدور الاحتكار في سوريا حول قلّة تتقاسم عقود التوريد، كل في اختصاصه التجاري، والاستيراد يتم وفق سعر الدولار الرسمي (يقال 100 ليرة عن سعره في السوق السوداء)، ويأتي البيع وفق سعر صرف الدولار في السوق السوداء. الناس تموت في الحرب، وثروات البعض تنهض على أشلاء البلاد. لا حياة في التجارة، هذا هو قانونها، تتبدو المادة الخامسة من قانون المنافسة ومنع الاحتكار مجرد طرفة وهي تمنع تقاسم السوق وتقاسم مصادر التوريد على أساس المنطقة الجغرافية أو على أساس كميات البيع والشراء أو حسب عدد العملاء أو على أي أساس آخر من شأنه أن يؤثر سلباً على إمكانية المنافسة.

لكن الاحتكار في سوريا لا يتشكل، ولا يكتمل عقده بعيداً عن تواطؤ جهاز الدولة، إذ أن وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية هي من يملك صلاحية منح إجازات الاستيراد، أي أنها تختار أسماء المستوردين وكمية مستورداتهم وتويعتها وفق القيم والبنود الجمركية المعمول بها. فلا يقوم الاحتكار بمفرده إذاً. هدمه يتم من داخله، هدمه يبدأ من إجازة الاستيراد نفسها التي تمنحها وزارة الاقتصاد، وينتهي بتمويل المستوردين التي يقننها مصرف سوريا المركزي، ثم بإتاحة المنافسة، وتظيم العرض السلمي، وهذا لا يستقيم إلا بدخول الدولة شريكاً جدياً في معادلة السوق. دون ذلك ستبقى أسعار السلع والخدجيات في ارتفاعٍ مضطرد، لن يشبع أبداً، حتى ولو شجعت آلة الحرب من نهب أروحنا جميعاً.

## أيمن الشوفي

صحافي من سوريا

## الكلمة من دلالات القبح والوسخ.

لم أعد أصدق أبداً مفاهيمنا «الاجتماعية» عن التائق والجمال والجاذبية، هذه كلها محض هراء، في العام 2012 تحدثت مرة مع العزيز علاء خالد، فانتقد وضع الحواجز التي تضيق بها مساحة حريتنا، ضارباً مثلاً بحرص الوطوف على ارتداء «البدلة والكرافات»، وكنت وقتها هذا الموظف بمكتبة الإسكندرية، ذلك المجتمع الصغير الذي تسوده صفوة المجتمع المصري ويلهث وراءها سائر الموظفين من أبناء البرجوازية الوسطى والعلية، بحيث تكاد تقتصر الأخاديت والإهتمامات على تفاصيل الموضة والطعام والكافيهيات الفاخرة.. كنت وقتها ارتدي «البدلة والكرافات» ربما كي لا أصبح شديد الهشاشة أمام ذلك المجتمع، فكرت في كلام علاء وعدت إلى ارتداء الجينز والتيشيرت.

الآن أضحك على نفسي كلما ذكرت تلك الأيام، أي تفاهة تلك، أي مجتمع زائف مريض، بعد خروجي من السجن انتبهت إلى أن كثيرين من الذين عملت معهم سنين طويلة نأكل وتشرّب معاً، نحكي هومنا وأسراننا.. لم يتصلوا مرة واحدة بأسرتي للسؤال عني، كما لم يذهبوا لرؤيتي في أي من جلسات محاكمتي التي تيعد عن المكتبة ثلاث دقائق بالسيارة، لم يرسلوا لي رسالة واحدة، بينما كانت العدايا ورسائل المحبة تتحال على من ناس لم أرهم في حياتي، إنه مجتمع «البدلة والكرافات».

أعرف سجننا، منذ خرج من السجن، لم يعد يمشط شعره، بل يقصه بحيث يظل قصيراً بسيط الظهر، كما امتنع عن ارتداء البدلة والكرافات والملابس الفاخرة، هذا لا يقفمه ولا يقدر عليه إلا من علمه السجن أن يبحث عن سبب أكثر جوهرياً لكونه إنساناً، أن يبحث عن سرٍ، يقين، هدف ما يمكن تصديقه أكثر من تلك القشور الخارجية حتى يقدر على تحمل كونه «جرباناً» منكوشاً. كتبت عن ذلك في رسالتي «شجرة الكريسماس» في زنزانتي.

جيلنا سيظل يعاني سنة بعد سنة، نظاماً بعد نظام، ثم في لحظة لا يعرفها أحد، ستدفع هذه التضحيات المترابطة بلدنا دفعة إلى الأمام، الذين دفعوا ثمناً، ولو أياماً معدودة في السجن أو علة في قسم.. ساهموا مساهمة ما في صناعة التغيير، منذ خروجي من السجن، لم ألتق أحداً من أهالي السجناء إلا طلبت منه أن يفهم سجنيتي أن حبسته لن تهدر أبداً، كل ما في الأمر أن التراكم ما زال غير كاف لدفع البلاد خطوطها الصغيرة القادمة.

السجين الذي لا يدرك ذلك تنهار إنسانيته ويبدأ في كراهية الحياة، وقد يصبح آلة لبث الكراهية.

## عمر حاذق

شاعر أمضى سنتين في الاعتقال وخرج بعفو رئاسي في أيلول / سبتمبر الفائت شمل 100 معتقل

**143** مليون دولار حجم دورة المال في فرع شركة G4S في إسرائيل الذي أعلنت الشركة بيع نشاطاته خلال عامين، وهي تقول «لأسباب ليس لها علاقة بضغط حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات»، مع العلم أن هذه الضغوط تسببت بسحب جهات عدة استثماراتها في الشركة، آخرها يونيسف الأردن ومؤسسة بيل غيتس التي سحبت استثماراتها حجمها 170 مليون دولار.

مقابلة مع المؤرخ خالد فهمي

## الثورة المضادة في مصر: الافتقاد لتصور عام والتخويف



جورج بهجوري - مصر

ترسمه في مكان ثان وفرنسا ترسمه في مكان ثالث. نحن من حقنا أن ندخل هذا المعترك وأن نقول إننا نريد أن نعرف ما هي الحريات التي يجب أن لا نتخلطها وما هي حدود حرية الرأي وما هي حدود التكنم على حرية الرأي. أما من يقول لي إن كل الأسئلة غير مطروحة وإن أجهزة الأمن القومي هي الأجهزة الوحيدة التي لها الحق بالكلام عن الأمن القومي، فأجيبه بأن هذا الكلام بحد ذاته يهدد الأمن القومي ويأمن الأمن القومي يزدهر عندما نجد التوازن الصحي والحقيقي والأمن بين محاذير الإفصاح وحرية الرأي. وبالتالي فنحن كمناصرين لحرية الرأي من صحافيين وكتاب وكاديميين على المجتمع. وأخيراً أريد القول إن هذا هو الفارق الفلسفي بين العقليتين. دور الأجهزة الأمنية هو ألا تشجع تداول المعلومات بل أن تكتنر المعلومات. ما هي الاستخبارات؟ هي محاولة تجميع الأدلة والمعلومات واكتنازها وعدم مشاركتها مع المجتمع. أنا أحترم هذه العقليته، بمعنى أنني أرى أن هذا بالفعل هو دور أي جهاز استخبارات، ماذا يبقى من جهاز الاستخبارات إذا أفصح عن معلوماته؟ هذا الجهاز مبني على السرية والتكنم والريبة والشك. هذا دوره الذي يجب أن يقوم به، لكن هناك عقليته أخرى ترى أن المعلومات والمعرفة تزدهر عندما يتداولها أكبر قدر ممكن من الناس. عندما يزدهر المجتمع والأمن القومي لهذا المجتمع، عندما يعرف الناس ما يحصل ويستطيعون الوصول إلى المعلومات لا لتدويرها بل لإنتاج معرفة جديدة وإنتاج أفكار جديدة وخلق مساحات للتفكير جديدة. هذا لا يأتي عبر الجلوس في المقاهي من دون أن يكون هناك أي شيء أقره ولا أسمعه ولا أتكلم فيه بل يأتي من أن أجد عند الجلوس في المقهى محطات إذاعية وإتترنت وقدرة على تداول الأفكار مع زملاء لي وأصدقائي الجالسين معي في المقهى والذين يأتي كل منهم بحصيلة مختلفة من المعلومات. يزدهر عندما يكون لدي جريدة فيها معلومة دقيقة وصداقة، ويزدهر عندما يوجد كتاب فيه أفكار جديدة مبنية بدورها على أبحاث أو معلومات أو وثائق أو بيانات دقيقة. هكذا تزدهر المجتمعات. كيف يزدهر الاقتصاد من دون حرية تداول المعلومات؟ حين يؤسس أحدهم مشروعاً اقتصادياً - لا أتحدث عن مشروع الضبعة أو عن مصنع بل عن كشك مثلاً - يجب أن يعرف قيمة الضرائب والتوجيه، وقيمة الكهرباء، كل هذه معلومات. كيف ستزدهر الصحافة من غير معلومات وعندما يبقى على كل سؤال محاذير أمنية. هذا ليس كلام باشاوت ولا هو تشدق ببعض شعارات حقوق الإنسان ولا هو تمسح ببعض البيانات والمواثيق الدولية. هذا شيء فكرنا فيه فلسفياً ونريد لأسباب حقيقية ووجودية، وفي النهاية نريده لا إرضاء لذواتنا. نحن نريده كي نمارس حقنا كمواطنين نخاف على بلدنا ونريد أن نفيدها ونغلبنا على الخوف وحتى نتغلب على الخوف من خلال الحصول على المعلومات، أي أن نعرف عما نتكلم. بالإضافة إلى لواءات الشرطة الخائفتين على البلد يجب أن يكون هناك رجال أعمال ورجال اقتصاد أيضاً خائفون على بلدهم ويطالبون، وبدل تخويف العاملين في حقوق الإنسان يجب التصرف على اعتبار أن كلامهم مهم جداً من باب الخوف على مستقبل البلد.

\* أجراها على الرجال لـ«السفير العربي» وإذاعة الوضع.  
\* النص الكامل للكاتب والبث الإذاعي على موقع «السفير العربي».

أو أن أقول إن كل المجتمعات تسأل هذه الأسئلة بشفاافية وحرية. لا طبعاً، هناك حساسيات دائماً. مثلاً هناك مجموعة صغيرة من أربعة ضباط في الجيش الأميركي يعملون في القصف بالمطائرات من دون طيار، يوجهونها من أريزونا لتقصف في العراق وأفغانستان وفي سوريا من غير أي اشتباك، هؤلاء الأربعة تمردوا وكتبوا رسالة مفتوحة ليبارك أوباما قالوا فيها إنهم ضباط في الجيش يرون أن ما يقومون به هو ضد الدستور، وأن ولاهم الأعلى يبقى للدستور برغم ولاتهم للجيش، وأنهم يرون أنهم يخالفون الدستور عندما يقتلون مدنيين عرلاً. كل واحد من الأربعة قال إنه قتل أشخاصاً لا يحملون سلاحاً وليسوا مقاتلين ولا إرهابيين، وصرخوا أنهم يفتقدون الأمر ثم لا يقدرون أن يتناووا. هذه المشاكل ليست نفسية إنما ما حاولوا قوله هو أننا نخسر الحرب على الإرهاب بينما يحقق الإرهابيون مكاسب من خلال هذه الطريقة لأن مجموعة من الشباب شعروا بالظلم نتيجة القصف العشوائي عندما لم يعرفوا مصرير المطارات وطريقة التعامل معها فلجؤوا إلى المنظمات الإرهابية مثل طالبان والقاعدة أو داعش. فباتالي هذه المنظمات تكسب ولا تخسر نتيجة هذا القصف. بعد هذه الرسالة لأوباما بدأ التحقيق معهم.

### الحرص على البلد

ما الذي يحرض هؤلاء؟ ما الذي حرض إسماعيل الإسكندراني على كتابة ما كتبه؟ خوفه على بلده وقلقه على مستقبلها. ما يحركه هو الإحساس بالمسؤولية، والأهم من ذلك أن ما يحركه هو اليقين بأن السجل العام والنقاش العام وطرح المعلومات، على الرغم من خطورتها، يفيد المجتمع والجيش ويفيد الحرب على الإرهاب. هذا ليس بسؤال سهل ولا بديهي، وأنا أدرك صعوبة ما يقوم به إسماعيل الإسكندراني وحسام بهجت وغيرهم من الصحافيين الاستقصائيين الجيدين، ما يحاولون القيام به أو قوله هو أن الفكرة أو الخبر النقدي أو فتح حوار مجتمعي هو الذي سيربحنا الحرب ضد الإرهاب وليس العكس، ليس الإصطاف. الإصطاف في فسطاطين هو خطاب القاعدة وبين لادن وبوش. أما الذي يكسبنا هذه الحرب، حرب الإفئدة والقلوب والعقول، هو أن نسأل الأسئلة الصعبة. نحن نقف وراء الجيش لكننا نريد أن نعرف كيف يتصرف الجيش ونريد أن نساعده مذكرين صعوبة ما يقوم به ونقدت تضحياته. دورنا كصحافيين وكفكرين هو أن نسأل الأسئلة الصعبة لا العكس. المجتمع الذي يفشل هو المجتمع الذي يخسر، المجتمع الذي يفشل في أن يسأل الأسئلة الصعبة في اللحظات الصعبة هو المجتمع الذي يخسر الحرب. ما الفرق بيننا وبين إنكلترا وأميركا؟ الضباط الأربعة كما قلت معرضون لمحاكمة عسكرية، ومن الوارد أن توجه لهم اتهامات خطيرة. إنما الفرق هو أن المجتمع الأميركي كما المجتمعات في أوروبا والهند وكوريا واليابان وأميركا اللاتينية المؤمنة بحرية الرأي تقول إن الأجهزة الأمنية يجب أن تشك ودورها أن تشك وتسال أسئلة عديدة وأن تعتبر فلاناً ظاهراً خامساً وفلاناً مدفوعاً له. هذا دور جهاز المخابرات ولا أقلل من أهمية هذا الدور. دور جهاز المخابرات أن يشك ويتحرى، لكن يجب أن يقابل هذه العقليته المهمة والضرورية للأمن القومي عقليته أخرى تدفع في الاتجاه الآخر، أي اتجاه الإنفتاح وحرية الرأي وحرية التعبير. الأمن القومي يزدهر حين نجد التعادل بين هاتين القوتين: عقلية الأمن التي ترتب والعقلية البحثية التي لا تخاف من طرح الأسئلة، والمجتمعات في النهاية ستجد التوازن المختلف، كل مجتمع مختلف عن الآخر. أميركا ترسم الحد الفاصل بين هاتين القوتين في مكان محدد بينما إنكلترا

لحلول ومشاريع يقول إنه لا يستطيع الإفصاح عنها بسبب أهل الشر. لا شك لدي أنه أمين وصادق ولديه توجسات أمنية، وأنا عندي أيضاً توجسات لكن لا أريد من هذه التوجسات أن تمنعني من التفكير أو تمنعني من الحلم. أنا من حقني أن أحلم بمستقبل مزدهر لشعبي وأهلي، ومن حقني أن أطالب رئيس دولتي أن يقول لي يشكل محدد، ليس بالأرقام إن كان هذا كثيراً، إنما أن يعطيني تخليلاً عاماً، بينما التخيل العام الموجود هو تخيل أممي. لا أريد أن أقلل من شعبية السيسي لكن الناس قلقون لأسباب مشروعة وعميقة ومهمة. الناس قلقون نتيجة ما أراه في سنة حكم الإخوان، الناس قلقون من الذي يحصل في الجوار، في ليبيا والسودان وعرة وسوريا والعراق، وهذه الدول ليست بعيدة عنا، هذه الدول القريبة جداً منا تتهاور والناس قلقون من انهيار المنظومة كلها في العالم العربي، كما شهدنا سابقاً، ومن عدم معرفة ما سيحل محلها. هزيمة 1967 المريرة التي تعاني منها إلى اليوم كانت نتيجة لصادرة المجال العام.

### وظيفة الأسئلة الصعبة

اعتقال حسام بهجت وإسماعيل الإسكندراني - وليس فحسب، فلدنيا أعداد كبيرة من الصحافيين الحزجيين بأعدار واهية جداً يهيمهم مصورون صحافيون - هي النتاج الطبيعي لهيمنة القطاع الأمني على مجمل المجال العام وإيذاء الإعلام الأهمية القصوى. النظام يرى أن دور الإعلام هو التوجيه والإرشاد لا طرح أسئلة عميقة وحساسة عما يحصل في الوقت الحاضر. حسام بهجت وإسماعيل الإسكندراني، كلاهما يكتب كثيراً حول تاريخ القاهرة وتاريخ الإسكندرية والتاريخ الاجتماعي، لكن الذي أثار الانتباه هو تناولهم أسئلة تتعلق بالجيش وطرح أسئلة مهمة، أراها ضرورية ويجب أن تطرح. تلك الأسئلة صعبة وحتى محرجة وخطيرة. حسام بهجت مثلاً يتساءل عن انقلاب عسكري حصل في البلد، أو محاولة انقلاب عسكري فقدم فيه المسؤولون محاكمة علنية حضرها حسام بهجت. هل من حق المجتمع أن يعرف هذه الأحداث أم ليس من حقه معرفتها؟ أنا أرى أن هذا من حقه. فهذا موضوع جدل وموضوع خطير جداً، ومن حق الناس أن تعرف أسباب التمرد وهوية المتمردين. مثال آخر على المواضيع الخطيرة هو أن يتكلم إسماعيل الإسكندراني عن أسلوب الجيش في التعامل مع الإرهاب في سيناء، والأ يتكفي بالبيانات التي تصدر عن الجيش إنما يذهب إلى سيناء ويرى بعينه ويقول إن هناك أشياء خطيرة تحدث. صحيح أن الجيش يحارب الإرهابيين لكنه لا يحاربهم بشكل جيد لأن من نتيجة محاربتهم لهم بالصف العشوائي أن ينقلب جزء من المجتمع في سيناء على الجيش نفسه. ليس الموضوع أن أهل سيناء مشكوك في ولائهم، لا أبداً. أهل سيناء هم مصريون لكن هناك أشياء خاطئة تحصل تجعل منهم متمردين على الجيش نفسه، وهناك شباب نقلوا ولدهم إلى داعش نتيجة القصف العشوائي الذي يحصل. هناك احتمال ألا يكون هذا الكلام صحيحاً، لكن هناك احتمال أن يكون صحيحاً والمجتمع من حقه أن يعرف.

ليس الأمن فقط. القطاع الصحي مثلاً لا يتكلم فيه إلا أطباء، لكن موضوع التأمين الصحي لا يخص الأطباء وحدهم، كلنا لنا رأي في مسألة الدروس الخصوصية وأساسه التعليم. ليس الحديث في التعليم حق لرجال التربية والتعليم وحدهم، كذلك فإن الاقتصاد لا يجب أن يبقى حكراً على الاقتصاديين. الحرب كما قيل أهم وأكبر من أن تترك للجنرالات. الحرب في النهاية هي موضوع سياسي ويجب أن يساهل المجتمع كل هذا. هذه الأسئلة صعبة بالطبع ولا أريد أن أقلل من أهميتها وخطورتها،

من أجل أن نفهم اللحظة التي نمر بها يجب أن نفهم لحظة الحكومة، ماذا كانت طبيعتها؟ وثورة على ماذا؟ لا أظن أن الثورة المضادة أتت من هنا، وأنا كقارئ لتاريخ مصر الحديث وكدارس لتاريخ المنطقة وليس مصر فقط، أرى أن ما تشهده المنطقة الآن، في الخمس سنين الماضية، ليس وليد صدفة ولا هو طبعاً وليد مقامرة، نحن نشهد ثورة أو انهياراً للمنظومة النظام العربي الحديث أو لنظام الدولة العربي الحديث، والنظام الذي وضع بعد انهيار الدولة العثمانية التي أعقبت الحرب العالمية الأولى. نحن نشهد لحظة مماثلة لتلك التي أعقبت الحرب العالمية الأولى وميلاد النظام العربي الحديث. هذا النظام، بما فيه مصر، شكّل أساساً من قوى خارجية هي فرنسا وإنكلترا تحديداً، ويعكس مصالح قوى أجنبية، لكن بالتعاون مع قوى داخلية، مع ملوك وأمراء وسلطانين وباشاوت وعائلات كبيرة وروساء لاحقاً كانت لهم مصلحة في إبقاء هذا النظام. إنما النظام العربي الحديث، كما النظام المصري والدولة المصرية، يعاني نتيجة ظروف نشأته من خلل بنيوي أساسي وهو أزمة شرعية هيكلية. وهذه الدول لا تعكس مصالح سكانها ولا مجتمعاتها بشكل أساسي.

### الثورة ليست مصدر الأزمات بل نتيجتها

نحن لا نشهد ثورة نتيجة حركة فيسبوكية ظهرت من قبل بعض الشباب الطاش، ولا نشهد ثورة نتيجة مؤامرات أجنبية وخارجية. نحن نشهد موجة من موجات الثورات المستمرة، والثورات لم تأت بسبب أن شعبنا أهو، أنا أعتبر نفسي واحداً من الثوار لجرد أنني أنزل إلى الشارع، وأنا أستاذ جامعة، لا ثورجي ولا شيء، أنا أريد أن أعمل في منزلي وأنتج معرفة وأدرس طلابي وليس لدي خلفية تدفعني للثورة إلى الشارع، لكنني مثل الملايين غيري أشعر أن هناك ظلماً في طريقة إدارة هذه الدولة، وأظن أن الثورة في حقيقتها وصلبها ناتجة من هذا، وعن أن هناك قطاعات كبيرة جداً من المجتمع مستبعدة ومهمشة ومقموعة سياسياً واقتصادياً وحقوقياً. اقتصادياً في الدرجة الأولى، مثال صغير على ذلك: حسب إحصائيات الأمم المتحدة للتنمية فإن متوسط طول الأطفال في مصر بين 6 أشهر وثلاث سنين انخفض في السنين السبع السابقة للثورة، وهذه الظاهرة تعرف بالترقم وهي انعكاس لسوء التغذية. يعني من المصريين قصروا، حرفياً وليس مجازاً! في حين أننا نرى ثروات وهدر أموال لم تشهده مصر في تاريخها، هناك ثروات هائلة وملايين وبلايين من الدولارات والجنهيات تذهب لناس وناس، لا البلد غني لكن المصريين فقراء، ولا أظن أن الناس يجب أن يقرؤوا هذه البيانات ليعرفوا أن هناك خللاً في طريقة توزيع الثروات في البلد. الثورة في حقيقتها هي انعكاس لهذه الأزمات وليس سبباً لها.

هنا يأتي التشخيص الخاطئ للثورة المضادة، السياسي والحكومة وقطاعات كبيرة من المجتمع التي تسامده، لأسباب كثيرة، شخصوا الموضوع بطريقة خاطئة. هناك علاقة بين الثورات والأزمات، لكن هذه العلاقة السببية معكوسة من وجهة نظر الثورة المضادة، فالثورة برأيي نتيجة الأزمات وليست سبباً لها، أما السياسي فيقول إنه أتى ليقتضي على المشاكل: على الثورة، لأن الثورة هي التي أدت إلى المشاكل، وهذا التشخيص ليس خطأ أكاديمياً فقط بل هو تشخيص خطير جداً لأنه يغفل المشاكل الحقيقية لهذا المجتمع. والمجتمع يعاني من مشاكل وحين لا هذه المشاكل، إنما أن نحلها سياسياً ولا فإنها ستحل بشكل عفيف. نحن لا نريد أن نقوم بثورة ولا حتى نريد أن ننزل إلى الشارع ولا نريد تدمير البلد، إنما نريد أن نقوم بطريقة إدارة البلد ونجعل مؤسسات الدولة تعكس مصالح ومصالح وأغراض وأحلام القطاعات الأكبر من سكان هذا البلد وليس فئة صغيرة فقط.

### «أهل الشر»!

السياسي يعرض حلاً أميناً، والذي يعرضه ليس الأهل ولا المستقبل إنما الخوف، والخوف شعور قوي جداً ولا يجب أبداً الاستهانة به. الخوف يمكنه أن يحرك أناساً ويشل أناساً آخرين. الخوف، أي خطاب التخويف الذي يقوم به النظام الحالي في مصر لا يستخدم في مصر فقط بل في المنطقة كلها. وأنا أعرف أن خطاب الخوف في أميركا يمكنه أن يشل الكونغرس بعظمته مثلاً، فهو قد شل بعد 11 سبتمبر حين سلم المجتمع الأميركي، من خلال قياداته البرلمانية، صلاحيات كبيرة للقطاع الأمني، ونحن نرى أن سنودن اليوم يحاول التمرد على هذا، أنا لا أقلل أبداً من أهمية الخوف، لكن أحاول القول إن هذا هو المطروح في الوقت الحالي ولا طرح لأهل ولا لتطاعات ولا لمستقبل ولا لأحلام وهذا اختلاف كبير مع عبد الناصر. لو سألت أنصار السيسي ماذا نناصرونه؟ لماذا فوضتموه؟ سنجيبونك بإحدى إجابتين، إما أنهم فعلوا ذلك لعدم وجود بديل أو لأنهم خائفون ويريدون تفويضه كي يحيمهم من مصير سوريا وليبيا والعراق. أنا شخصياً خائف على مستقبل البلد، لكن هذا الخوف لا يشلني إنما يحتم علي أن أسأل أسئلة نقدية.

السياسي يملك شعبية لدى قطاعات كبيرة من المجتمع وهو أخذ ثلاثة تفويضات، لكننا رأينا في الشهور الفاتنة كيف أن مطالبته الناس بالنزول إلى الانتخابات البرلمانية اصطدمت بعدم الإقبال، مثلما كان يطمح أو يريد للاستحقاق الثالث مثلما قبل في الانتخابات. أنا لا أشك في شعبية السيسي لكن على ماذا بُني شعبيته؟ هل هي شعبية مبنية على إنجازات حقيقية؟ لا أعتقد ذلك. هل هي شعبية مبنية على وعود موضوعية عقلانية لمستقبل يرى الناس أنفسهم فيه؟ «مصر قد الدنيا» شعار جميل لكن ماذا يعني تحديداً؟ ما هو تخيله عن حقوق الفلاحين؟ ما هو تخيله عن أزمة الطاقة التي تعاني وستعاني مصر منها؟ ما هو تخيله عن مستقبل القطاع الصناعي في مصر؟ ما هو الدور الذي يريد أن يعطيه لرجال الأعمال؟ ما هو تخيله عن حلول مسألة القطاع التعليمي في مصر؟ ما هو تخيله عن مسألة القطاع الصحي وعدم وجود نظام تأمين صحي للملايين من المصريين؟ نحن ننظر من رئيسنا أن يكون لديه ولو خطوط عريضة تشبك هذه المتطلبات ببعضها.

السياسي لا يتدخل في هذه الأمور، وعندما طوبل بها في الانتخابات الثيابية كان رده أن لا تطالبوا بها لأن هذا الكلام خطر، وعندما يلمح

## تذكر جيداً أن تنسى

بيتونة

سمعت يوماً بذلك المواطن الوطني «الوطنياتي» الذي قرر أن ينسى، إذا كنت لم تسمع به بعد فأنا مثلك لم أسمع به. أنا لا تتعلم خذت ع. هذا ما محفوظ السلامة والبقاء قرر أن ينسى كل زلة وخلة نفذتها بحقه الأحزاب والتيارات والكتل والأطياف والطوائف. لا تتضح. أتكلم جد. يجب أن ننسى يا صاحب مثله تماماً. إذا كنت تتذكر دائماً كل الجرائم التي نفذها تيار متشدد ما قبل عشر سنوات، تتذكرها دائماً ولا تفكر بنسيانها ولا تراجع موقفك هذا، سيسبقك هذا التيار بمراجعتة لنفسه حسب مصالحته وظروفه الحالية، لأنه مستعد دائماً للتطهر والتخلي عن ذكرياته

نص ورسم مرتضى كزار



هؤلاء لا يمشون، ونحن لن نبقي!

## إعادة النظر بالشوارع في حلب

لأن صاحبة الصوت توفيت منذ زمن، لم يسمع صوتها الذي كان يرافقه ليحذره، هو العجول دوماً، من تفتت زوايا الدرجة السادسة «انتبه الدرجة السادسة مكسورة» ليجنبه مخاطر الإنزلاق على باقي درجات السلم الحجري الدائري للمارة التي سكنها مع أسرته. المرأة التي ترافقه اليوم حتى باب البيت تبقى صامتة. هي ليست أقل خوفاً عليه من انكسار عظامه والتدحرج على الدرجات التي زادت احتمالاتها بعد أن أمسى الصعود والهبوط في الظلمة التامة، إنما لأنها تعلم أنه لم يبق مكان في جسمه لم يتعرض للرضوض والجروح، ولن تزيد السقطة على هذه الدرجة سوى رضة مضافة. فمعظم الطرقات محفرة، وحفر الأرصفة التي تشكل مكان السير الآمن للمشاة، أشد عمقا.

هي تخاف عليه من أخطار أعظم لا بد أن تواجهه في حركته اليومية، في تلك الأمكنة الواسعة والشوارع التي تقطعها الحواجز الإسمنتية، حيث الاضطراب للحركة والتنقل. هنا لا أحد ينتبه لتفاهة ولا لغيره، كل يضع عينيه في الأرض ويمشي إلى غايته وقدرة.

أكياس الزباله تعلوها قطلها، مركونة على جانبي بوابات العمارات وأمام نواصي الشوارع. الطوابير ذاتها أمام الأفران، وطوابير أخرى تقف أمام صهاريج منتظرة، ستجلب في زمن غير معلوم المياه وعبوات الغاز.

بصوت رقيق، يخاطب الرجل المرأة، التي تسير قربه «كفي عن البكاء، الناس يرون دموعك»، ويتابعان السير المتصلب المتجه في أحد تفرعاته إلى مشفى حكومي، حيث تستلقي المرأة الباكية علاجاً لمرض مستتر.

تتحلق مجموعة من الرجال والفتيان حول صندوق خشبي، وضوعوا فوقه لوزم قهوة الصباح. يسترسلون في الكلام، بعدما وزعوا القهوة على فنانجيتهم، عن النصابين الذين تتزايد أعدادهم كل يوم، متخذين هيات مختلفة «لو مد الله قدمه لسرقوا حذاء».

تتمهل المرأة التي تحمل حزمة من أكياس النايلون، وتسال عن الحافلة التي تصل إلى السجن. ينظر العابرون إلى السماء، كأنهم يطردون هذا الاسم المرعب من مخيلتهم: لا تعرف إلا «سجن المسلمية»، لكن ما من حافلات تذهب إلى هناك. السجن، كل مكان مغلق يحمل قابلية التحول إليه، هناك حيث ما انفك

السجناء يفنون أعمارهم بين جدرانها، وهم يتذكرون الحرية، ويعقبون مصائرهم.

يستفسر الرجل وابنه الذي يرافقه، عن مركز توزيع السلوات الغذائية، وعن الإجراءات اللازمة للحصول على سلة غذائية.. ويتابعان سيرهما بعد تلقي سيول من الإجابات والتوضيحات، لأن هذه الأمكنة باتت معروفة لكل العابرين، وأمسى الإرشاد إلى مواقعها من البدايات.

يتذكرون، وهم يقتربون من الحواجز العسكرية، المقولة الراسخة «خليك طبيعي»، أي لا تظهروا أي تباريح على وجوهكم، أو ارتباك في أيديكم أو تلون في وجناتكم. تأكدوا من وجود بطاقتكم الشخصية، بتمسيدة رقيقة على الصدر حيث تنموضع جيوب قمصانكم.. بغير ذلك تكون مؤشرات على مخالقات تعملون على إخفائها، وتكشف حقيقتكم. لكن ما هي حقيقتهم؟ أناس يمضون لحلب بعض الخضار والخبز لأسرهم، قد يعودون إلى من ينتظرونهم وقد لا يعودون.

علق الصيدلاني على الواجحة الزجاجية لصيدليته، لوحة من الورق المقوى، كتب فوقها «وصلتنا لقاحات مأمونة ضد الكريب».. وهي سانحة لتذكر مصائر الذين أخذوا، دون علمهم، لقاحات غير مأمونة.

\*\*\*

يخاطب العسكري زميله العسكري «هسع وين يحطون كريم الثوم ع الظافل إلا على الشاورما»، «وين يريدون يحطونه»، ويرفع صوته برهوه للبايع الذي يحضر الستدويشات، «كفر لنا كريم ثوم» حاسباً هذه الإضافة المزجة من غنائم الحرب.

بصوت عال يرد الرجل الذي يرتدي لباساً رياضياً أنيقاً على مكالمته الصوت الآتي إلى جواله «بس لا أنا ولا عيالي متعرف نسبح يا خيو، معاناتو كان لازم نعمل دورة سباحة مع دورة الألمان»، ويتابع المشي السريع والرد على الأسئلة اللجوجة الآتية من قارة بعيدة.

ينهر صاحب محل الحلويات الولد الواقف أمامه ويطلبه بمغادرة المكان، وحين لا يستجيب يخرج من مكانه ويشده من أذنه ويجره حتى طرف الرصيف. حالما يتعرض أي طفل لهانة من أحد، حتى تظهر على

وجهه تباريح البكاء، تغضض في الجبين، التواء ذابل في الشفتين، التماع مخنوق لدفعة في العينين، إحناء للجدع لحجب كل ذلك، بعدها يلتفت راکضاً ويقول كلمته الخالدة: «سأشكوك لأمي».

لكن لا أم اليوم ليجرح إليها ويشكو من إهانة، ولا ذراع تلم تبعثر كينونته، ولا تربيتة حانية من يد دافئة على كتفيه، لتغضض عنه غبار المعانة. يجب العودة إلى القيو المعتم حيث المكان الجديد للإقامة، للإضطجاع بين الأخوة، وإيقاف التسكع في الشوارع، لتشهي الحلويات الساخنة، والانتظار الصبور للمصائر الساخنة للبطاطا.

\*\*\*

ماتت وداد أيضاً. صورتها الملونة في الزاوية اليسرى من ورقة النعومة الملوقة على جدار المدرسة، ربما لأنها كانت معلمة. نعوتها وجيزة، لا شجرة لعائلة كثيفة الأغصان تتفيا تحت ظلها في هذا الامتحان، وأسرة تبعثرت في بلاد الله، مكان العزاء في بيت الفقيدة. في صالة العزاء حينما ذكروا سبب موتها، تمتم وهو يحرق في السقف العالي، قوتان لما نزل عاجزون عن دحرهما وإنتاج مصول مضادة لهما: الاستبداد العربي ومرض السرطان.

وقعت الشوارع في تصحرها، التي طالما كافح أهلها للتلقت منه، الورا يشبه الأمام واليمين يشبه اليسار، كما هو الحال في القفار. هناك كان الرعاة يهتدون بالنجوم لترشدتهم إلى يقين الدروب، وبحممة الخيل لتحملهم إلى مآهل المياه، يترقبون في وحدتهم للمس يرتمي على أكتافهم كدثار من الأشواق، يحملهم خفاً إلى منازل الأهل.. من القلب استخلصوا عاطفته، ومن الحليب قشدته وزبدته، ومن العزلة الكلام.

وضع أكياس الخضار فوق الرصيف، ذلك يديه ليعيد الدم إلى أصابعها والذي حبسته مقايض الأكياس، رفع عينيه إلى جدار العمارة، قرأ للمرة الألف العبارة المكتوبة بالدهان الأزرق من عام 1968 وحسى ثباتها الزمن: هبط الملاك في بابل، لا تنسوا مشاهدة مسرحيات مسرح الشعب في حلب.

عزيز تبسي

كاتب من سوريا

حلم..

رائد عيسى / فلسطين



arabi.assafir.com

الزيد على موقع «السفير العربي»  
- الاقتصاد الفلسطيني واتفاقية باريس الاقتصادية - محمد خضر قرش  
- عطب الخيلة في العراق - عمر الجفال  
- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi  
- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

## «أصعد من جفاف الخبز والماء المصادر\*»

.. بألف كلمة

تختلط شهادة أبو صالح وأم صالح سوية ليكون لها المعنى ذاته: حاصرنا المدينة واستوطنها المهاجرون الروس وأطلقوا عليها اسم كرمئيل . هم جاؤوا إلينا، نحن الذين كبرنا مع الزيتون، والآن يريدون لنا أن نرحل لأننا، كما يقولون، بزرعنا وبيوتنا الصفيح ومواشيتنا نفسد منظر المدينة الحضاري.

هذه الأرض اسمها رمية وعمرها أكبر من عمر إسرائيل، ومن يعرف عمر كل حجرة وشجرة فيها لن تستطيع أي قوة أن تقتلعها منها .

ما أفعله أنا مع أحفادي هو ما فعله أبي معي: أن لا أفرط بحبة تراب من هذه الأرض.

أبو صالح وأم صالح وحفيدتهما  
(تصوير: محمد بدارنة)

\* محمود درويش



## السلوك والقيم والمعايير والأخلاق في الجيش الإسرائيلي

أعلن الجيش الإسرائيلي أنه اعتقل جندياً إسرائيلياً متهماً بإطلاق النار وقتل جريح فلسطيني في الخليل، بعد انتشار فيديو يظهر فيه الجندي يطلق النار على رأس شاب فلسطيني مصاب ملقى على الأرض.

إلى هنا الخبر أقل من عادي. فالجيش الإسرائيلي يقوم ببعض المسرحيات أحياناً، ويمكن الحكم على الجندي بأسبوع سجن لأنه «لم يقصد» قتل الشاب، لكن بعوضه لسعته فتحرك إصبعه على الزناد تلقائياً. لكن غير العادي هو تصريح الناطقة بلسان الجيش الإسرائيلي حين قالت: «إن الجيش يرى بأن هذا الحادث انتهاك خطير لقيم وسلوك ومعايير العمليات العسكرية في الجيش الإسرائيلي».

ما هي قيم وسلوك ومعايير العمليات العسكرية في الجيش الإسرائيلي؟!

من الواضح أن الفضيحة التي حدثت في الخليل، لم تحرك إسرائيل بسبب الحادثة ذاتها، بل بسبب حدوثها أمام الكاميرات. نتنياهو والناظر من العالم يقول: «إن مجلس حقوق الإنسان تحول إلى سيرك معاد لإسرائيل، يهاجم الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط...»، مع العلم أن المآسي التي حدثت أمام الكاميرات في تاريخ الصراع لن يكون آخرها قتل الشاب في الخليل، ولم يكن أولها مقتل أولاد بكر الأربعة وهم يلعبون الكرة على الشاطئ في غزة.

من صفحة Khaled Juma (عن فايسبوك)

## دمشق في بيتٍ بحيفا

في شهر شباط/ فبراير 2015، نقلت إلى بيت جديد بحيفا، بعد ما كنت عايشة 3 سنين بعكا، وقبلها كنت برام الله وقبلها بحيفا وقبلها بالقدس، وبالأساس بيتي الأبدي الذي في عكا.. البيت اللي بحيفا، موجود بمنطقة شارع الجبل.. شبابيكه تطل على الجبل، وشباك الحمام يطل على جهة البحر، وفيه كمان جنبه سطح كبير، لبناية ثانية، السطح يطل على الجبل والبحر والجليل وجبل الشيخ..

لا وصلنا البيت، كان فيه أغراض كثير، خلوها الناس اللي كانوا ساكنين فيه.. رمينا كل إثشي، ما عدا إثشي واحد: شريش لا مسكته انتبهت على الماركة اللي عليه، واللي مكتوب عليها: دمشق - سورية.

غسلته، ولقيته مكان بالصالون.. وكل الوقت محطوط على الكنباية بشكل إنه تضل هالورقة مبنية..

وكل ما أشوقها، أفكر إنه دمشق بيبيتي.. براويحها اللي عمري ما شميتها.. بس قادرة أشمها.

رح أترك هالبيت قريباً.. روح أحمل هالشريش معي.. زي ما يحمل كل المدن الجميلة اللي زرتها واللي ممنوعة إني أزورها - بس بعرفها منيح، بقلبي.. والقلوب بيوت.

من صفحة Rasha Hilwi (عن فايسبوك)

## مدونات

## سؤال أم الشهيد

السؤال الأصعب والأكثر مرارة هو سؤال أم الشهيد اليومي لي عندما أعود إلى البيت: متى سنودع البهاء ونكرمه بدفء الأرض؟.. لا أدري ماذا أقول وقد مضى على احتجاج الجماين المقدسية (وضمنها جثمان ولدي) أكثر من خمسة أشهر ..

اعذريني يا أم الشهيد.. جرحك ما زال مفتوحاً، وشغفك لوداع ولدك بحجم السماء .. ولكن استعادة الجماين غابت عن الأجدات السياسية ولم تعد من ضمن الأولويات «الوطنية».. وما من سبيل إلا أن نكتم الحزن ونبقى نحن أقوياء.. #تريد\_أولادنا

من صفحة محمد عليان\* (عن فايسبوك)  
\*والد الشهيد بهاء عليان، الشاب الناشط الذي كان صاحب مبادرة أطول سلسلة قراءة حول أسوار القدس، والتي دخلت موسوعة غينيس وشارك فيها أكثر من 7000 فلسطيني.